

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ١٣ ذو الحجة ١٤٤٢ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ أَرْكَى الْأَعْمَالِ وَخَيْرَ الْخِصَالِ وَأَحَبَّهَا إِلَى اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى، وَالذَّاكِرُونَ اللَّهَ تَعَالَى هُمُ السَّبَّاقُونَ فِي مَيْدَانِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ.

وَالذِّكْرُ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، فَلَا حَيَاةَ لَهَا إِلَّا بِهِ، وَلَا قَرَارَ وَلَا طُمَأْنِينَةَ، وَلَا هَنَاءَ وَلَا لَذَّةَ، وَلَا سَعَادَةَ إِلَّا بِهِ. وَلِذِكْرِ اللَّهِ فَضَائِلٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: الذِّكْرُ تَطْمَئِنُّ بِهِ قُلُوبُ أَهْلِ الْإِيمَانِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

الثَّانِي: اللَّهُ تَعَالَى يَذْكُرُ الذَّاكِرِينَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ».

الثَّلَاثُ: مَجَالِسُ الذِّكْرِ تَحْضُرُهَا الْمَلَائِكَةُ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةَ سَيَّارَةً فُضَّلًا، يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ...»، وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

الرَّابِعُ: الذِّكْرُ مِنْ خَيْرِ الْأَعْمَالِ. عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى».

الخَامِسُ: الذِّكْرُ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ. عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ». قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ»: وَمِنْ مَنَازِلِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: مَنَزَلَةُ الذِّكْرِ، وَهِيَ مَنَزَلَةُ الْقَوْمِ الْكُبْرَى الَّتِي مِنْهَا يَتَرَدَّدُونَ، وَفِيهَا يَتَجَرَّوْنَ، وَإِلَيْهَا دَائِمًا يَتَرَدَّدُونَ. وَالذِّكْرُ مَنْشُورُ الْوِلَايَةِ الَّذِي مَنْ أُعْطِيَهِ اتَّصَلَ، وَمَنْ مَنَعَهُ عَزَلَ، وَهُوَ قُوَّةُ قُلُوبِ الْقَوْمِ الَّذِي مَتَى فَارَقَهَا صَارَتْ الْأَجْسَادُ لَهَا قُبُورًا، وَعِمَارَةٌ دِيَارِهِمُ الَّتِي إِذَا تَعَطَّلَتْ عَنْهُ صَارَتْ بُورًا...، وَهُوَ جَلَاءُ الْقُلُوبِ وَصِقَالُهَا، وَدَوَاؤُهَا إِذَا غَشِيَهَا اعْتِلَالُهَا، وَكُلَّمَا أَزْدَادَ الذَّاكِرُ فِي ذِكْرِهِ اسْتَعْرَافًا، أَزْدَادَ الْمَذْكُورُ مَحَبَّةً إِلَى لِقَائِهِ وَاشْتِيَاقًا...، وَهُوَ بَابُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الْمَفْتُوحُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغْلِقْهُ الْعَبْدُ بِغَفْلَتِهِ».

السَّادِسُ: وَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ بِالْمَغْفِرَةِ، وَعَظِيمِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

السَّابِعُ: الذِّكْرُ يَخْنَسُ بِهِ الشَّيْطَانُ، وَتَنْحَلُّ بِهِ عُقْدُهُ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ قَالَ: الشَّيْطَانُ جَائِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ

وَسُوسَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلَاثَ عُقَدٍ إِذَا نَامَ، بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلًا طَوِيلًا، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقْدَتَانِ، فَإِذَا صَلَّى انْحَلَّتِ الْعُقْدُ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ».

الثَّامِنُ: الذِّكْرُ يَنْقُلُ بِهِ مِيزَانُ حَسَنَاتِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَكْثُرُ أَجُورُهُ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

التَّاسِعُ: الذِّكْرُ يَحُطُّ بِالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ وَيُذْهِبُهَا وَلَوْ كَثُرَتْ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ».

الْعَاشِرُ: الذِّكْرُ يَحْفَظُ الْعَبْدَ مِنَ الشُّرُورِ، وَيُدْفَعُهَا عَنْهُ. أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، وَكَانَ أَبَانٌ قَدْ أَصَابَهُ طَرْفُ فَالِحٍ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبَانٌ: مَا تَنْظُرُ؟ أَمَا إِنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثْتِكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَقْلُهُ يَوْمَئِذٍ لِيَمِضِي اللَّهُ عَلَيَّ قَدْرَهُ».

الْحَادِي عَشَرَ: الذُّكْرُ يُورِثُ حَيَاةَ الْقَلْبِ. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: الذُّكْرُ لِلْقَلْبِ مِثْلُ الْمَاءِ لِلسَّمَكِ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ السَّمَكِ إِذَا فَارَقَ الْمَاءَ.

الثَّانِي عَشَرَ: الذُّكْرُ قُوَّةُ الْقُلُوبِ. فَإِذَا فَقَدَهُ الْعَبْدُ صَارَ بِمَنْزِلَةِ الْجِسْمِ إِذَا حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُوَّتِهِ. قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْوَابِلِ الصَّيِّبِ»: حَضَرْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ مَرَّةً صَلَّى الْفَجْرَ، ثُمَّ جَلَسَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى إِلَى قَرِيبٍ مِنْ انْتِصَافِ النَّهَارِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: هَذِهِ غَدَوَتِي، وَلَوْ لَمْ أَتَغَدَّ الْغَدَاءَ سَقَطَتْ قُوَّتِي. أَوْ كَلَامًا قَرِيبًا مِنْ هَذَا.

وَقَالَ لِي مَرَّةً: لَا أَتْرُكُ الذُّكْرَ إِلَّا بِنِيَّةِ إِجْمَامِ نَفْسِي وَإِرَاحَتِهَا لِأَسْتَعِدَّ بِتِلْكَ الرَّاحَةِ لِذِكْرِ آخَرَ، أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ. اهـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَا بُدَّ فِي الذُّكْرِ مِنْ مُوَاطَاةِ الْقَلْبِ اللَّسَانَ. قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي الْمَرْجِعِ السَّابِقِ: أَفْضَلُ الذُّكْرِ وَأَنْفَعُهُ مَا وَاطَأَ فِيهِ الْقَلْبُ اللَّسَانَ، وَكَانَ مِنَ الْأَذْكَارِ النَّبَوِيَّةِ، وَشَهِدَ الذَّاكِرُ مَعَانِيَهُ وَمَقَاصِدَهُ. اهـ

وَعَلَى الذَّاكِرِ أَنْ يَجْلِسَ مُتَذَلِّلًا مُتَخَشِّعًا، فِي سَكِينَةٍ وَوَقَارٍ، وَأَلَّا يَأْتِي بِأَذْكَارٍ مُخَالَفَةٍ لِهَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا بِذِكْرِ جَمَاعِيٍّ، وَإِنَّمَا يَتَحَرَّى هَدْيَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ خَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الذُّكْرَ مَحْبُوبٌ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ إِلَّا فِي أَحْوَالِ اسْتِثْنَاهَا الشَّرْعُ مِنْهَا:

* فِي حَالَةِ الْجُلُوسِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ. * فِي حَالَةِ الْجَمَاعِ.

* فِي حَالَةِ الْخُطْبَةِ. * فِي حَالَةِ النُّعَاسِ.